المصطلحات الدالة على الغموض عند قدماء اللغويين والنحاة والبلاغيين
(دراسة معجمية دلالية – نماذج مختارة)

محمد سالم علي الرجوبي
قسم اللغة العربية_ كلية التربية_ جامعة مصراتة
mohammed alrajoubi@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2023/9/14
وقبلت بتاريخ 2023/10/5
ونشرت بتاريخ 2023/10/12.

الملخص

الوظيفة الأساسية للغة الإنسانية هي التواصل فيما بين الناس، بواسطة نظم مختلفة منها الكلام والكتابة، وفيهما يشترط الوضوح والبيان، إلا أنه قد تجد في داخل النظام اللغوي شيئاً من الغموض وخفاء الدلالة وتعددها، بسبب العلاقات الدلالية، أو بسبب التركيب النحوي، أو تعقيد بنائه، أو بسبب التصحيف والتحريف في اللغة المكتوبة، أو بسبب غموض في الصورة الفنية، أو بسبب الغموض في السياق الذي يجعلها تحتمل أكثر من معنى.

فهذا البحث يستعرض التعريف بظاهرة الغموض، وموقف اللغويين والنحاة والبلاغيين وجهودهم في دراسة هذه الظاهرة، ثم يذكر بعض نماذج للمصطلحات الدالة على الغموض، وتوضيح معناها المعجمي والدلالي.

ABSTRACT:

The basic function of human language is communication between people, through various systems, including speech and writing, in which clarity and explanation are required. However, you may find within the linguistic system some ambiguity, concealment and multiplicity of meanings, due to semantic relationships, grammatical structure, or the complexity of its construction. Or because of correction and distortion in the written language, or because of ambiguity in the artistic image, or because of ambiguity in the context that makes it bear more than one meaning. This research reviews the definition of the phenomenon of ambiguity, the position of linguists, grammarians, and rhetoricians and their efforts in studying this phenomenon, then mentions some examples of terms indicating ambiguity, and clarifies their lexical and semantic meaning.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد،،

إن الوظيفة الأساسية للغة الإنسانية هي التواصل فيما بين الناس، كما أشار إلى ذلك ابن جني في قوله: " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهذه الأصوات تنظم في كلمات، ثم في جمل مفيدة تؤدي إلى معانٍ يتواصل بها الناس بواسطة نظم مختلفة منها الكلام والكتابة وفيهما يشترط الوضوح والبيان.

فمن المتعارف عليه في أي لغة من اللغات أن كل لفظ يدل على معنى معين، إلا أنه قد تجد في داخل النظام اللغوي شيئاً من اختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، ولفظ واحد وله معنيان متضادان، وهذا ما يطلق عليه ما يسمى بالعلاقات الدلالية وهي: (الترادف والمشترك اللفظي، والأضداد)، والتي قد تؤدي إلى تعدد المعنى وغموضه في بعض المواقف، وقد قام العلماء المتقدمون من لغويين ونحاة وبلاغيين من رصد ظاهرة الغموض الناشئة عن خفاء الدلالة وتعددها بسبب العلاقات الدلالية، أو بسبب التركيب النحوي،

أو تعقيد بنائه، أو بسبب التصحيف والتحريف في اللغة المكتوبة، أو بسبب غموض في الصورة الفنية كالتشبيه أو الاستعارة، أو بسبب الغموض في السياق الذي يجعلها تحتمل أكثر من معنى.

إن ظاهرة الغموض في اللغة العربية تعد من الظواهر التي انتبه إليها العلماء، وتوقفوا عندها وحاولوا معرفة أسبابها ومظاهرها، ووضعوا لها مصطلحات للدلالة عليها.

فارتأيت أن تكون دراستي في الوقوف على بعض المصطلحات الدالة على الغموض في المفردات والتراكيب النحوية والمجازية، وقد اعتمدت في الوقوف على هذه المصطلحات على كتاب الغموض في العربية للدكتور حلمي خليل، وعلى معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب، وقد اخترت عنواناً للبحث:

(المصطلحات الدالة على الغموض عند قدامى اللغويين والنحاة والبلاغيين)

(دراسة معجمية دلالية – نماذج مختارة)

وقمت بتقسيم البحث بعد هذه المقدمة إلى مبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

- المبحث الأول: (الجانب النظري)، ويشتمل هذا المبحث على:
  - تعريف الغموض لغة واصطلاحاً.
  - اللغويون والنحاة والبلاغيون وجهودهم في دراسة ظاهرة الغموض.
- المبحث الثاني: (الجانب التطبيقي) ويشتمل هذا المبحث على نماذج مختارة من المصطلحات الدالة على الغموض عند قدامى اللغويين والنحاة والبلاغيين وبيان معناها المعجمي والدلالي.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب

المبحث الأول
(الجانب النظري)

- تعريف الغموض لغة واصطلاحاً.
- اللغويون والنحاة والبلاغيون وجهودهم في دراسة ظاهرة الغموض.

الغموض لغة:

(غَمَضَ يغمض غموضاً) الشيءُ خَفِيَ وغاب عن النظر أو الفكر، فهو غامض، والغامض من الكلام: هو ما كان خلاف الواضح [1]، وقد فسَّر الفيروزبادي الغموض الابهام قائلاً: "أغمض الكلام أبهمه وهو بخلاف أوضحه"[2].

الغموض اصطلاحاً عند القدماء:

الغموض يعد ظاهرة من الظواهر التي لفتت انتباه القدماء من مفسرين ولغويين ونحاة وأصوليين وبلاغيين، فقاموا بدراستها ورصد مظاهرها، واستخدموا في ذلك مصطلحات عدة لها، ولكنهم اتفقوا جميعاً في تناولهم لهذه الظاهرة من خلال التحليل اللغوي للمبنى بما له من صلة بالمعنى، والغموض عندهم هو ما لا يدل على المعنى ولا يوضحه، وإيصال المعنى واضحاً مفهوماً يعد جزءاً أساسيًّا في عملية الاتصال الذي تتحقق به العلاقات الإنسانية التي يجب أن يتوفر فيه شرط الوضوح والبيان، ويقول الجاحظ في ذلك: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى"[3]، وقد اشترك القدماء في أصول ومبادئ اطردت في تناولهم لدراسة ظاهرة الغموض في المعنى ويتمثل ذلك في الآتي:

1. غموض المعنى وتعدده واحتماله ظاهرة واضحة في اللغة بالمستويين المنطوق والمكتوب.
2. الغموض في الكلام قد يقع بسبب بنية الكلام أو بسبب المتكلم أو السامع.
3. احتمال وقوع الغموض في النصوص المكتوبة أكثر منه في اللغة المنطوقة وذلك لقابلية اللغة المكتوبة للتصحيف والتحريف.
4. قد يقع الغموض لأكثر من سبب، كغموض البنية الصوتية للكلام، واحتمال أكثر من معنى لبعض الألفاظ، أو عدم وضوح المعنى لتعقيد في التركيب النحوي، أو غموض في الصورة الفنية المشتملة على تشبيه أو استعارة غير مألوفة في كلام الشعراء المحتج بشعرهم[4].

الغموض اصطلاحاً عند علماء اللغة المحدثين والمعاصرين:

حصر علماء اللغة المحدثون والمعاصرون مصطلح الغموض في البنية اللغوية فقالوا: "إن البناء اللغوي الذي يقال عنه إنه غامض هو البناء الذي يحتمل أو يرتبط به أكثر من معنى"[5].

([1]) ينظر: لسان العرب، مادة: (غ.م.ض) 86/11، الهادي إلى لغة العرب مادة: (غ.م.ض) 348/3.
([2]) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (غ.م.ض) ص/351.
([3]) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، 76/1.
([4]) ينظر: العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى والمعنى، حلمي خليل، ص:13 -23.
([5]) المصدر السابق، ص:30.

وهم بذلك يفرّقون بين أنواع الغموض من حيث صلتها بالبنية اللغوية، فحددو لذلك أربعة أنماط من الغموض تكمن في:

أ. الغموض الذي يقع في الكلام بسبب الأداء الصوتي المتمثل في النبر والتنغيم، ولا يقع هذا النوع من الغموض إلا في اللغة المنطوقة، مثلا: جملة (ياسلام) بإعطائها تنغيمات مختلفة تدل على معان متنوعة، فقد تكون للتعجب، وقد تكون للتحقير، وقد تكون للتعظيم.

ب. الغموض الذي يحدث بسبب وجود بعض الكلمات في بعض الجمل الصحيحة نحوياً، إلا أن دلالة بعض هذه الكلمات يحتمل أكثر من معنى، كأن تكون من قبيل المشترك اللفظي.

ج. الغموض الذي يحدث نتيجة التركيب النحوي، وفيه تكون الجملة صحيحة نحوياً إلا أنها تحتمل أكثر من معنى[1].

د. الغموض الذي يحدث بسبب التركيب الدلالي لا النحوي، حيث تجد بعض الجمل صحيحة نحوياً، والغموض فيها من التركيب الدلالي، أي تكون بلا معنى، ومن أشهر الجمل على ذلك النوع من الغموض هي: (الأفكار الخضراء عدمية اللون تنام بغضب) فهي جملة صحية نحوياً، ومع ذلك فهي بلا معنى، وبناًء على ذلك لابد من وجود توافق دلالي يتوازى مع التركيب النحوي لكي تكون الجملة مفهومة ولها معنى[2].

اللغويون والنحاة وجهودهم في دراسة ظاهرة الغموض:

علماء اللغة والنحو والبلاغة اهتموا بالمفردات والتراكيب، فنجد اللغوي يقوم بجمع المادة اللغوية ولا يتصرف فيها، وفي المقابل نجد النحوي يتصرف فيما جمعه اللغوي، أمَّا علماء البلاغة فكان اهتمامهم موجهاً إلى دراسة الغموض من خلال اللغة الأدبية المتمثلة في الشعر والنثر ورصد مظاهره، وفيما يلي سوف أذكر باختصار جهود كل منهم في دراستهم لظاهرة الغموض في المعنى وصلتها بالمبنى على النحو الآتي:

أولاً: جهود اللغويين في دراستهم لظاهرة الغموض:

قام اللغويون بجمع المفردات عن طريق الرواية، فلاحظوا أن هناك مفردات تحتمل أكثر من معنى، وقد أشار ابن فارس إلى ذلك بقوله: "يسمّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام، كرَجل وفَرَس، وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: (عين الماء) و (عين المال) و(عين السحاب)، ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: (السيف والمهند والحسام)... ومن سنن العرب في الأسماء أن يُسَمُّوا المتضادين باسم واحد فنجد (الجون) للأسود و(الجَوْن) للأبيض"[3].

وبذلك يكون ابن فارس قد قسم ألفاظ اللغة العربية وفقاً لدلالة الألفاظ إلى أربعة أقسام هي:

1. الكلمات ذات الدلالات المختلفة، أي: اللفظ الواحد يدل على المعنى الواحد مثل: رجل وفرس.
2. اللفظ الواحد الدال على أكثر من معنى مثل: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب، وهذا ما يسمى بالمشترك اللفظي.
3. اللفظان أو أكثر الدالة على معنى واحد مثل: السيف والمهند والحسام، وهذا ما يسمى بالمترادف.
4. اللفظ الواحد الدال على معنيين متضادين مثل: الجون للدلالة على الأبيض والأسود، وهذا ما يسمى بالأضداد.

والملاحظ من تقسيم ابن فارس أن تعدد المعنى أو ترادفه أو تضاده يدخل الدلالة في نطاق الغموض، ولو نظرنا إلى القسم الأول من الأقسام سابقة الذكر، لوجدنا أنه ليست هناك مشكلة فيه؛ لأنه يجري على الأصل ويمثل الكلمات الواضحة الدلالة في أن كل لفظ له معنى واحد، أمَّا القسم الثاني والثالث والرابع كل منها يحتمل درجة من درجات الغموض، حظيت بعناية اللغويين القدماء والمحدثين[4].

ثانياً: جهود النحاة في دراستهم لظاهرة الغموض:

اهتم العلماء من النحاة بدراسة قواعد التركيب النحوي بما لها من صلة بالمعنى الذي يتم بصور مختلفة، منها: النظر في أواخر الكلمات العربية حال استعمالها في جمل مفيدة، ورأوا ما يحدث فيها من تغيرات في اللفظ تبعاً لما يحدث فيها من تغيرات في المعنى، ويكون ذلك عن طريق الإعراب ودوره في أداء المعنى، ويكون المعنى الذي يقصده المتكلم هو الذي يحدد الإعراب، وهو بذلك وسيلة من وسائل المعنى، وقد عرّف ابن جني الإعراب بقوله: "هُو الإبَانَةُ عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعتَ: أكرَم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"[5]، وقد استعمل النحاة للدلالة على عدم وضوح المعنى أو غموضه مصطلحين هما: مصطلح (اللبس) ومصطلح (الإبهام) وكان عندهم مصطلح (اللبس) أكثر شيوعاً في الدلالة على غموض المعنى، أما مصطلح (الإبهام) فهو مصطلح خاص بجمل بعينها.

([1]) المصدر السابق، ص:30، 31.

([2]) ينظر : نظرية تشومسكي اللغوية، تأليف : جون ليونز، ترجمة حلمي جليل، ص: 184 .

([3]) الصاحبي: ابن فارس، ص: 114-117.

([4]) ينظر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض حيدر، ص: 117، 118.

([5]) الخصائص، ابن جني، 79/1.

وقد استعمل سيبويه _إمام المدرسة البصرية_ مصطلح اللبس وذلك للدلالة على الغموض الناشئ عن وجود لفظ يحتمل أكثر من معنى، أو تركيب يؤدي إلى تعدد للمعنى وغموضه، ويقول في ذلك: :"وينبغي لك أن تسألَه عن خبر من هو معروفٌ عنده، كما حدَّثْته عن خبر من هو معروفٌ عندك، فالمعروف هو المبدوء به"[1]، فسيبويه يشير هنا إلى أن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة لكي يصح السؤال أو الكلام عنه، أو الحكم عليه، وذلك لأنه لو لم يكن معرفة لوقع في الكلام غموض، ولم يفهم السامع المقصود؛ لأن المبتدأ إذا كان نكرة أي مجهولاً لدى السامع أدى الإخبار عنه إلى عدم الإفادة، كما أن ذكر المجهول في بداية الكلام يوقع السامع في الحيرة، وحدد سيبويه هذا المجهول أو غير المحدد النكرة، يقولُ: "ولا يبدأ بما فيه اللبس وهو النكرة، ألا ترى أنك لو قلت كان إنسان حليماً، أو كان رجل منطلقاً، كنت تلبس لأنه لايستنكر أن يكون في الدنيا أنسان هكذا فكرهوا أن يبدأوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبر لما يكون فيه هذا اللبس"[2] والجملتان اللتان مثلا بهما سيبويه لم تفيدا معنى واضحاً لوجود كلمة الإنسان النكرة التي تدل على العموم وهذا سبب عدم الوضوح والغموض في الجملتين، وبناءً على ذلك اشترط سيبويه والنحاة من بعده أن يكون المبتدأ معرفة وهو الأصل، ولا يجوز أن يكون نكرة إلا بشروط تدخله في حيز المعرفة[3]، وهو ما أجمله ابن مالك في ألفيته بقوله:

ولا يجـــــوز الابتـــــدا بـــــالنكرة ... مَـــا لَـــمْ تُفِـــدْ: كَعِنْـــد زيـــدٍ نَمِـــرَه
وهَـــل فَتًـــى فِـــيكُمْ؟ فماخِـــلٌ لنـــا ... ورجـــلٌ مِـــنَ الكـــرام عِنْـــدَنَا
ورغبـــةٌ فـــي الخيـــر خيـــرٌ، وعَمَـــل ... بِـــرٍّ يَـــزينُ، وَلْـــيُقس مـــا لـــم يُقَـــلْ

اقتصر ابن مالك على ستة شروط فقط، وقد أنهى بعض الشراح والمتأخرين شروط ومواضع الابتداء بالنكرة إلى نيف وثلاثين موضعاً[4].

أما المصطلح الثاني الذي يستعمله النحاة، بالإضافة إلى مصطلح اللبس للدلالة على خفاء المعنى وغموضه هو مصطلح الإبهام واستعمال النجاة له مخصوص في باب التمييز، وهو عندهم يدل على أن الجملة تامة من ناحية التركيب النحوي ولكنها غامضة من ناحية المعنى، ويقع هذا الغموض عند النحاة في المفرد والجملة، ففي المفرد مثل قولك: (عندي رطل) فيقع الغموض بسبب كلمة (رطل)، إذ الرطل مقدار يوزن به كثير من الأشياء التي توزن، فإذا قلت: (عندي رطل عسلاً) زال الإبهام وظهر المعنى.

أمَّا وقوع الإبهام في الجملة فيقع في مثل قولك: (طاب زيدٌ)، وعلى الرغم من اكتمال ركني الجملة فإن المعنى غمض، وذلك لأن الطيبة في قولنا: (طاب زيدٌ) مسند إليه، والمراد شيء من أشياء تتصل به فيحتمل أن يكون قلبه أو لسانه أو نفسه، أو منزله، إلى غير ذلك، فإذا قلنا: طاب زيدٌ نفساً، زال الإبهام عن الجملة[5].

وقد يقع الغموض بسبب من التركيب النحوي، فقد تكون الجملة صحيحة نحوياً، ولكنها غامضة دلالياً ومن ذلك ما كان في الحال الواحدة مع تعدد ما تصلح به، من غير وجود قرينة تعين واحداً مما يصلح وذلك في مثل جملة: (ضربتُ زيداً ضاحكاً) جملة غامضة لأنها تحمل معنيين هما: ضربتُ زيداً وأنا أضحك، أيْ: أن الحال من الفاعل، وضربتُ زيداً وهو يضحك، أيْ: أن الحال من المفعول به، وبذلك يكون أصل الغموض في الجملة جاء من التركيب النحوي، الذي قام بمنعه بعض النحاة لإبهامه وخفاء الصاحب الحقيقي أي أن البنية السطحية لهذه الجملة تنضوي تحتها بنيتين عميقتين مختلفتين، لكل منهما دلالة تختلف عن الأخرى[6].

ثالثاً: جهود البلاغيين في دراستهم لظاهرة الغموض:

أجمع البلاغيون على أن وضوح المعنى وانكشافه من أبرز المعايير التي يتفاضل بها الكلام، ويرون أن الوظيفة الأساسية للكلام هي التبليغ والإفهام، قال الجاحظ: "إن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع، إنَّما هو الفهم والإفهام؛ فبأيّ شيء بلغْتَ الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيانُ"[7]، وبناء على هذا المعيار في الوضوح أخذ النقاد والبلاغيون القدماء ينظرون في الشعر والنثر، وكان وضوح المعنى من المعايير الأساسية التي وجهت التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، إلا أنهم توقفوا بصورة لافتة للنظر أمام ظاهرة غموض المعنى وخفاء الدلالة، فتعددت عندهم المصطلحات التي استخدموها في وصف الغموض في الكلام، وبخاصة في الشعر[8].

ومن أوائل النقاد الذين استخدموا مصطلح الغموض (الآمدي) في وصفه لشعر أبي تمام في مقابل وصفه لشعر البحتري من حيث وضوح المعنى وانكشافه حيث ذكر إنه قام بعض رواة الشعر بالتفضيل بينهما

([1]) الكتاب، سيبويه، 48/1.
([2]) المصدر السابق نفسه.
([3]) ينظر: العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص:116.
([4]) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 227/1،215.
([5]) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج/71/70.
([6]) ينظر: العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص:213، 214.
([7]) البيان والتبيين، الجاحظ، 76/1.
([8]) ينظر: العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص:136.

فنسبوا البختري إلى حلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في موضعه، مع صحة العبارة، وقرب المآ تي وانكشاف في المعاني، في حين نسبوا أبا تمام إلى غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورد من الكلام الذي يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج[1].

وكما وقف النقاد والبلاغيون القدماء على الغموض في شعر أبي تمام، وجدوا ذلك في شعر غيره مثل: الفرزدق المتبني، بل لم يسلم من نقدهم من ناحية غموض المعنى بعضُ كبار الشعراء في العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي.

وقد تتبع البلاغيون مظاهر الغموض المختلفة في البنية اللغوية على مستوى المفردات والتراكيب النحوية والمجازية، ووضعوا كثيراً من المصطلحات الدالة على غموض الألفاظ والمعاني مثل: التعقيد، المعاظلة، الغريب، الإبهام، والكناية، التورية[2]... إلخ التي سوف تذكر في المبحث الثاني من هذا البحث.

المبحث الثاني
الجانب التطبيقي
نماذج مختارة من المصطلحات الدالة على الغموض عند قدامى اللغويين والنحاة والبلاغيين وبيان معناها المعجمي والدلالي

في هذا البحث سوف أقوم بعرض بعض هذه المصطلحات والوقوف على معناها اللغوي، ثم الوقوف على معناها الدلالي عند اللغويين والنحاة والبلاغيين، ثم توضيح ما أمكن كيفية دلالة المصطلح عندهم على الغموض في استخدامهم له في المفردات والتراكيب النحوية والمجازية والتي سنذكرها حسب الترتيب الألف بائي على النحو الآتي:

الإبهام:

الإبهام: هوا الكلام الموهم وذلك لأن له أكثر من وجه، وإبهام الأمر أن يشتبه فلا يعرف وجهه وقد أبهمه، واستبهم عليه الأمر، أي: استغلق[3].

ويقال له المبهم والمستبهم والمستغلق، وهو الكلام الغامض الذي لا يفهم، أو هو الكلام الذي يحتمل وجهين مختلفين، أيْ: متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يتعمد إبهام الأمر فيهما عن قصد، وذلك مثل قول الشاعر:

خاط لي زيد قباءَ ليت عينيه سواءَ

فالخياط (زيد) كان أعور، وبعد أن أتى الشاعر بالقباء قال له: لأعملن فيك بيتاً لا يعرف أحد دعوتُ لك فيه أم دعوتُ عليك، فقال فيه البيت السابق، فما علم أحد هل أراد بتمنِّيه أن تساوى الصحيحة السقيمة أو العكس[4].

الإشارة:

الإشارة هي الإيماء، أشار باليد، أي: أومأ، وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيده، وتكون الإشارة بالكف والعين والحاجب[5].

وعدّ الجاحظ الإشارة من أصناف الدلالات على المعاني، فقال: " فأمّا الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان ... وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفقٌ كبيرٌ ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس عن بعض ويخفونها عن الجليس وغير الجليس "[6].

ولكنها عند كثير من البلاغيين ترتبط بالتعبير اللغوي، أي: " التعبير باللفظ القليل عن المعاني الكثيرة، أو هي أن يكون اللفظ مشاراً به إلى معان كثيرة بإيماء إليها أو بلمحة دالة عليها[7].

ومن ذلك قوله تعالى: ُّ صح صخ صم ضج ضح ضخ ٍّ[8]، فاللمحْ كلّ ما تميل إليه النفس من الشهوات التي لا تنحصر، وتلذه الأعين من المرئيات التي لا تنضبط، ولتعلم أن هذا اللفظ القليل جداً، قد أشار إلى أشياء ومعان لا تنحصر عدًّا[9].

([1]) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، ص:9.
([2]) ينظر: العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص:137-138.
([3]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ب.ه.م)، 171/2.
([4]) ينظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص306-309، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب 37/1-39.
([5]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (ش.و.ر)، 160/8.
([6])البيان والتبيين، الجاحظ، 77/1-78.
([7]) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص383.
([8]) سورة الزخرف، الآية : 71.
([9]) ينظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص82.

الأضداد:

الضد في اللغة يطلق على النظير والكفء والجمع أضداد، والضد مثل الشيء، والضد خلافه، والمتضادان اللذان لا يجتمعان كالسواد ضد البياض، والموتُ ضد الحياة، والليل ضد النهار[1].

والضد في الاصطلاح عند علماء اللغة المتقدمين يطلق على الكلمات التي تؤدي دلالتين متضادتين بلفظ واحد، وقد حده ابن الأنباري في مقدمة كتابه الأضداد، بقوله: " هذا كتاب ذِكر الحروف التي توقعها العربُ على المعاني المتضادّة، فيكون الحرف فيها مؤدّيا عن معنيين مختلفين "[2].

ويتبين من ذلك، أن كلمة الضد كلمة استخدمت في اللغة مشتركاً لفظياً، إذا دلت على معان متعددة، وهي كذلك شبه ضد، لأنها استخدمت في الدلالة على الشيء ومخالفه.

وقد اختلف علماء اللغة المتقدمون في ظاهرة الأضداد ووقوعها في اللغة العربية، كما اختلفوا في ظاهرتي (المشترك والترادف) ومنهم من رأى أن التضاد ما هو إلا نوع من المشترك اللفظي[3]، ورد ذلك ابن الأنباري وقال: " ... أن كلام العرب يصحّح بعضه بعضُاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد؛ فمن ذلك قول الشاعر:

كُلُّ شيءٍ ما خلا الموت جَلَلْ والْفَتى يَسْعَى وَيُلْهِيهِ الأمل

فدل ما تقدم قبل (جلل) وتأخّر بعده على أنَّ معناه: كل شيء ما خلا الموت يسيرٌ، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن (الجلل) هاهنا معناه (عظيم)" [4].

وبذلك يثبت ابن الأنباري أن الكلمة بعيدةً عن السياق المستخدمة فيه، قد يغمض معناها، وتحتمل أكثر من دلالة، ولا ينكشف معناها، إلا من خلال وضعها في سياقات مختلفة، فالسياق هو الذي يحدد المقصود من المعنيين، فالأضداد تشبه أي كلمة أخرى، فهي في حالة بعدها عن السياق قد يتطرق إليها الاحتمال والتعدد، أما في داخل السياق فيتحدد معناها ويرتفع الغموض عنها[5].

الألغاز:

جاء في لسان العرب "ألْغز الكلام وألغز فيه، عمّى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره، ... واللُّغَزَ: الكلام المُلَبَّس"[6].

أما في الاصطلاح فهو يجنح نحو الاعتبار المفهوم من الوضع اللغوي، حيث إن لُلُّغْزِ أسماء عدة منها: "المعاياة، والعويص، والرمز، والمُحَاجَاة، والمعمّى... إلخ "، ومعنى الجميع واحد، واختلافها بحسب اختلاف وُجُوه اعتباراته وعلى سبيل المثال: إذا اعتبرته من حيث إن واضعهُ كأنَّه يُعابيك، أي: يظهِرُ إعياءَك وهو التعب سمَّيتَهُ معاياه، وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عُمِل على وجوه وأبواب سميته لغزاً وفعلك له إلغازاً[7].

وبناء على ذلك، فاللغز هو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن، وباطن ممكن غير عجب، وذلك كقول ذي الرمة يصف عين الإنسان:

وأصغر من قَعْبِ الوليد ترى به بيوتاً مُبنّاةً وأوْدَيةً قَفْرَا

ففي قوله: (به) الباء للإلصاق كما تقول: لمسته بيدي، أيْ: ألصقتها به، وجعلتها آلة لِلَّمْس، والسامع يتوهمها بمعنى (في) وذلك ممتنع لا يكون، والأول حسن غير ممتنع[8]، وقد عدّ ابن سنان الخفاجي (اللغز) فنا ومذهباً في الكلام خارجاً عن حدود الفصاحة للغموض المقصود فيه، فقال: "إن الكلام الموضوع على وجه الإلغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه، وجعل ذلك فنا من الفنون التي يستخرج بها إفهام الناس وتمتحن أذهانهم"[9].

وبذلك تكون فائدة اللغز في العلوم الدنيوية هي رياضة الفكر في تصحيح المعاني وإخراجها من المناقضة والفساد إلى معنى الصواب، والأمثلة على هذا اللون في الكلام الغامض أكثر مِنْ أنْ تحصى، فقد وقع في الكلام العادي وفي شعر الشعراء، وذلك مثل قول الشاعر:

ربّ ثَوْرٍ رأيت في جحر نمل ونهارٍ في ليلة ظلماءِ

فالثور ها هنا: القطعة من الأقط، وهي اللبن اليابس، والنهار: فرخ الحباري، فإذا استخرج هذا صح المعنى، وإذا حمل على ظاهر لفظه خرج عن الصواب وكان محالاً[10].

([1]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ض.د.د)، 25/10.
([2]) كتاب الأضداد، ابن الأنباري، ص1.
([3]) ينظر: المزهر، السيوطي، 304/1.
([4]) كتاب الأضداد، ابن الأنباري، ص2.
([5]) ينظر: العربية والغموض – دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص111.
([6]) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ل.غ.ز)، 211/13.
([7]) ينظر: كُتب الألغاز والأحاجي اللغوية، أحمد محمد الشيخ، ص20.
([8]) ينظر: معجم البلاغة العربية، تأليف: بدوي طبانة، 180/2-182.
([9]) المصدر السابق، ص802.
([10]) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، 306/1.

وبذلك فإن مفهوم الغموض عند البلاغيين ينصرف إلى تعدد المعنى أو غموضه، أو خفائه على السامع أو القارئ، بسبب البنية الصوتية، أو بسبب تَعدّد دلالة اللفظ، أو بسبب التركيب النحوي للكلام من حيث احتماله لأكثر من معنى ، أو بسبب بُعْد الصورة الفنية عن المألوف في كلام العرب[1].

الترادف:

الترادف في اللغة هو مصدر مادة (ردف)، التي يدخل ضمن دلالتها الدلالة التبعية والخلافة، ومن ذلك: الرِّدفُ: ما تَبِعَ الشيءَ، وكل شيءٍ تبع شيئاً، فهو رِدْفُه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، ورَدِف الرجل وأرْدَفَه: ركب خَلْفَهُ، وارتدَفَه خَلْفَه على الدابة، والرِّدافة الاسم من أرداف الملوك، كالخلافة، ولها موضعان: أحدهما، أن يردف الملوك دوابهم في صيد، والآخر أن يخلف الملك إذا قام عن مجلسه، فينظر في شؤون الناس[2].

والترادف في اصطلاح القدماء كما يعرفه الإمام الرازي: "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد"[3].

والترادف يعد من الظواهر اللغوية في العربية التي يتصف بغموض دلالة الكلمة، فإذا كان المشترك اللفظي هو عبارة عن كلمات متشابهة في النطق والكتابة، ولكنها مختلفة الدلالة، فالترادف هو عبارة عن كلمات مختلفة النطق والكتابة، ولكنها تدل على شيء واحد.

وكما لفتت ظاهرة الاشتراك اللفظي انتباه علماء اللغة القدماء، لفتت ظاهرة الترادف انتباههم كذلك، وعدها بعضهم من أبرز خصائص اللغة العربية، وقد اختلفوا في وقوعها كما اختلفوا في وقوع غيرها من الظواهر اللغوية، فأنكر فريق منهم وجود الترادف وأثبته فريق آخر، وبالرغم من اختلافهم حول وقوعه؛ فإنَّ ما ذهب إليه بعضهم من وجود الترادف النسبي يؤكد أن الغموض الدلالي قد يحدث بين بعض الكلمات، وقد التفت كل العلماء القدماء والمحدثين إلى أهمية السياق في تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات التي يظن أنها مترادفة، وإن الغموض قد يأتي من عدم معرفة السامع لكلام العرب والعلة فيه، وقد يؤدي إلى غموض المعنى بالنسبة لغير ابن اللغة، وقد يأتي الغموض من انتماء نص ما إلى مرحلة تاريخية غير التي يقرأ فيها، ومن ثم قد يظن أن بعض الكلمات من المترادف، وهي بالنسبة لأبناء اللغة في مرحلة تاريخية معينة ليست كذلك، وهذا مما يعد من التطور اللغوي الذي قد يكون سبباً مهماً من أسباب الترادف[4].

التصحيف:

التصحيف لغة: "الخطأ في الصحيفة"[5].

والتصحيف في الاصطلاح: حدد مفهومه الأصفهاني بقوله: "هو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته، وأما لفظ التصحيف فإن أصله فيما زعموا أنَّ قوماً أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان الخطأ يقع فيما يرونه فيقال عندها قد صَحَّفُوا فيه، أي رووه عن الصُّحفُ، ومصدره التَّصْحيف، ومفعوله مُصَحَّف ... كما سُمي التصحيف تغييراً أو تبديلاً "[6].

ويترتّب على ذلك أن التصحيف هو تغيير في دلالة الكلام ومعناه، وذلك نتيجة لخطأ في القراءة أو في الكتابة أو فيهما معاً، وهو ما يؤدي إلى اختلاف المعنى وغموضه.

وقد لاحظ الأصفهاني في دراسته لظواهر التصحيف والتحريف أن الكتابة العربية كانت عرضة للخطأ لتَشَابُهِ كثير من وحداتها الخطية في الرسم، ومن ثَمَّ أدّى التشابُه إلى وقوع التصحيف في الكتابة، والتحريف في القراءة، وذلك أنه لما جاءت الباء والتاء والثاء أشباها في الاتصال والانفصال، تمكن التصحيف في الكتابة، ولعلاج ذلك وضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات فوضعوا النقط بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف[7].

وتختلف قابلية الكلمات في اللغة العربية، لوقوع التصحيف فيها من حيث تشابه الوحدات الخطية واختلافها وذلك على النحو الآتي:

1. "ما لا يقع فيه التصحيف البته، مثل: (طمع).
2. ما يقع فيه التصحيف على وجهين:
   أ. الوعد من العدة.
   ب. الوغد للرجل الخسيس.

([1]) ينظر: العربية والغموض، دراسة لغوية في المبنى والمعنى، حلمي خليل، ص175.
([2]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ر.د.ف)، 136/6-137.
([3]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 402/1.
([4]) ينظر: العربية والغموض، دراسة لغوية في المبنى والمعنى، حلمي خليل، ص104-109.
([5]) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ص.ح.ف)، 204/8.
([6]) كتاب التنبيه في حدوث التصحيف، الأصفهاني، ص26.
([7]) المصدر السابق، ص27-28.

3. ما يقع فيه التصحيف على ثلاثة أمثلة:
أ. الضخم، السمين.
ب. الصحم، الأحمر في سواد.
ج. الضجم، لميلان الشدق "[1].
فالتصحيف عندما يقع في الكتابة يؤدي إلى اختلاف المعنى وغموضه، إلا أنه بالاعتماد على السياق والتوافق الدلالي، يستطيع القارئ فهمَ المعنى المراد رغم وقوع التصحيف.

التعريض:

التعريض في اللغة هو: " خلاف التصريح ... وقد يكون بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال "[2].

وقال العلوي: " التعريض خلاف التصريح، يقال: عرّضْتُ لفلان أو بفلان، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، ومنه المعاريض في الكلام، وفي أمثالهم: (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)، أرادوا أن المعاريض فيها سعة عن قصد الكذب وتعمده، واشتقاقه من قولهم: عرض له كذا، إذا عنَّ، لأن الواحد منا قد يعرض له أمر خلاف التصريح فيؤثره ويقصده"[3].

فالتعريض: هوما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق، أيْ أَنْ يحيط المتكلم كلامه بغموض ظاهر، ولكن المعنى يفهم من السياق والقرائن من غير أن يقصد استعمال اللفظ فيه أصلاً، ومثال التعريض المستعمل في المعنى الحقيقي قولك عند شخص مُؤْذٍ: أنا لست بمؤذ للناس، فإن المعنى هو نفي أذاك للناس، وهذا الكلام يشير بدلالة السياق إلى كون من تكلمت عنده مؤذياً لهم.

ويُستعمَل التعريض – أيضًا – في المعنى المَجازيّ والمعنى الكِنائيّ، ولا يقع التعريض بسبب من المفردات كما تقع الكناية أحياناً، وإنما يكون في الجمل المترادفة والألفاظ المركبة، وذلك لأن دلالة التعريض تكون من جهة القرينة والتلويح والإشارة، وهذا لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكنه إنما ينشأ من جهة التركيب، فلهذا كان مختصاً بالوقوع فيه[4].

التعقيد:

العَقْد: نقيض الحَلّ، عَقَدَه يَعْقِدُهُ عَقْداً وتعْقَاداً وعَقَّده، وقد انعقد وتَعقَّدَ[5].

والتعقيد من الأساليب غير المستحسنة وهو مما يخل بفصاحة الكلام، وهو أن يكون الكلم خفيَّ الدلالة على المعنى المقصود، ويكون ذلك إما باختلاف نظم الكلام، بحيث لا تكون الألفاظ مرتبة على وفق ترتيب المعاني، أو أن يكون في الكلام حذف لا دليل عليه، أو بغير ذلك، كالفصل بين المبتدأ والخبر، أو بين الصفة والموصوف، أو بين البدل والمبدل منه، ومن هذا قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وما مثله في الناس إلا مملَّكاً أبو أُمه حيٌّ أبوه يقاربه

وترتيب البيت إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: (وما مثله في الناس حيّ يقاربه إلا مُملَّكًا أبو أمه أبوه)، حيث فصل بين المبتدأ والخبر(أبو أمه أبوه) بالأجنبي الذي هو (حيٌّ)، وفصل بين الموصوف والصفة (حيٌّ يقاربه) بالخبر الذي هو (أبوه)، وقدم المستثنى وهو (مُملَّكا) على المستثنى منه وهو (حيٌّ)، وفصل بين البدل (حيٌّ) والمبدل منه (مثلُه) بالجار والمجرور والمستثنى مع أداته والمبتدأ وهي: (في الناس إلا مملكاً أبو أمه). [6].

وذكر المبرد أن قول الفرزدق السابق هو من أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني[7].

ويمكن القول: إن مصطلح (التعقيد) يدل عموماً على غموض المعنى بسبب الألفاظ والتراكيب[8].

الرمز:

الرَّمْز: تصويت خفي باللسان كالهمس، وهو إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز: كل ما أشرت إليه مما يُبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين[9].

ويستعمل المتكلم الرمز في كلامه –عادةً- فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم، وهو الذي تقل فيه الوسائط أو تنعدم مع خفاء المعنى وغموضه، والرمز يعد سمة من سمات الأدب الحديث والمعاصر

([1]) العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، ص202-203.
([2]) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ع.ر.ض)، 108/10.
([3]) الطِّرَاز، العلوي اليمني، 192/1.
([4]) ينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، 527/2، 528.
([5]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (ع.ق.د)، 220/10.
([6]) ينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، 559/2.
([7]) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد، 18/1.
([8]) ينظر: العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص155.
([9]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ر.م.ز)، 222/6.

وخصيصة من خصائصه، في الشعر والنثر، فقد تقوم القصيدة والعمل الأدبي على الرمز، وقد أتى في كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير[1].

وعدّ ابن رشيق الرمز من أنواع الإشارة، وقال: "ومن أنواعها الرمز، كقول أحد القدماء يصف امرأةً قُتِل زوجُها وسُبِيَتْ:

عَقَلْتُ لها مِنْ زوجها عَدَدَ الحصى مع الصبح أو مع جُنْح كُلِّ أصيل

يريد: أني لم أعطها عقلاً ولا قَوَداً بزوجها، إلا الهمَّ الذي يدعوها إلى عدِّ الحصى"[2].

الغريب:

غَرُبَ، أي: بَعُدَ، والغريبُ: الغامض من الكلام، وكلمة غريبٌ، وقد غَرُبَتْ[3].

وهو مصطلح يتصل بدلالات المفردات، ويدل على أن دلالة الكلمة غير واضحة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال، فهي تحتاج في إدراكها إلى دقة نظر وقوة فكر، فالبلاغيون يخصون بهذا المصطلح الكلمات التي لا يعرف معناها مطلقاً، أو التي لا يعرف معناها إلا بالبحث والتنقيب في كتب اللغة، أو عند رواة اللغة والشعر، ومن ذلك قول بعضهم في وصف اللبن:

وآخذ طعم السقاء سامط وخائر عجالط عكالط

السقا: نوع من الجلد، يكون للماء واللبن،، والسامط: اللبن تذهب حلاوته، والعجالط والعكالط: اللبن الخاثر[4].

وأخذ أبو هلال العسكري على بعض علماء العربية في استعمالهم للكلمات الغامضة الغريبة في كل مقام، ومثل لذلك بقول أحدهم يوماً لحجامه: " اشدد قصب الملازم، وارهف ظباة المشارط، وأمر المسح، واستنجل الرشح، وخفف الوطء، وعجّل النزع، ولا تكرهن أبياً، ولا تمنعن أتياً .... فقال له الحجّام: ليس لي علم بالحروب"[5]، وهذا دليل على أن الحجام لم يفهم شيئاً بطبيعة الحال.

ويؤكد أبو هلال العسكري على مراعاة المقام والسياق لكي لا يكون هناك خلل بمبدأ الإفهام، ومن الواجب تقسيم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو، ومعنى ذلك أن الغموض كما يحدث نتيجة للكلمات الغريبة المبهمة الدلالة، فهو يحدث نتيجة لعدم مراعاة المقام الذي يقال فيه الكلام[6].

المشترك:

المشترك هو الاسم الذي تشترك فيه معان كثيرة، كالعين ونحوها، فإنه يجمع معاني كثيرة[7].

وهو مصطلح يتصل بدلالة الألفاظ المفردة، ويدل عند علماء اللغة على وقوع الغموض في الكلام، بسبب احتمال الكلمة لأكثر من معنى.

ويحدد أبو هلال العسكري دلالة المصطلح بقوله: " هو الألفاظ التي لا تدل على المعنى خاصة، بل تشترك معه فيها معانٍ أخر، فلا يعرف السامع أيها أراد، وربما استبهم الكلام في نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معناه إلا بالتوهم"[8]. ومن ذلك قول الشاعر:

لو كنتُ أعلم أن آخر عهدِكم يَوْم الرحيل فعلت ما لم أفعل

فوجه الاشتراك في البيت، أن السامع لا يدري إلى أي شيء أشار من أفعاله في قوله: (فعلت ما لم أفعل)، فالتصرف غير واضح، فما يريد أن يفعله العاشق عند فراق أحبته، فهل أراد أن يبكي إذا رحلوا، أو يهيم على وجهه من الغم الذي لحق به، أو يتبعهم إذا ساروا، أو يمنعهم عن الرحيل، أو غير ذلك، مما يجوز أن يفعله، فلم يبن عن غرضه، وأحوج السامع إلى أن يسأله عمّا أراد فعله عند رحيلهم.

ومما وقع فيه الاشتراك في الجملة، نتيجة لاحتمالها أكثر من معنى قول أبي تمام:

وقمنا فقلنا بعد أن أفرد الثرى به ما يقال في السحابة تُقلِع

فقوله: (في السحابة تُقْلِعُ) عبارة غامضة؛ لأن أقوال الناس في السحاب إذا أقلع يختلف ويتعدد على وجوه كثيرة، فمنهم من يمدحه، ومنهم من يذمه، ومنهم من يحب إقلاعه، ومنهم من يكرهه، على حسب ما كانت حالاتها عندهم، ولم يبن بقوله ما يقال في السحابة تقلع، معنى يعتمده السامع[9].

([1]) ينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، 317/1، العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص169.

([2]) العمدة، ابن رشيق، 305/1.

([3]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (غ.ر.ب)، 24/11.

([4]) ينظر: العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص157، 158.

([5]) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص27.

([6]) ينظر: العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص160.

([7]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ش.ر.ك)، 68/8.

([8]) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص42، 43.

([9]) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص42-44، معجم البلاغة، بدوي طبانة، 375/1-376.

فالاشتراك قد يقع في المفرد وقد يقع في الجملة، وتوضيح المعنى ورفع الغموض عندما يقع الاشتراك هي القرينة سواء من السياق اللغوي أو السياق المقامي[1].

المعاظلة:

عاظل معاظلة: لزم بعضه بعضاً، وتعاظلت الجراد إذا تداخلت، ويقال: تعاظلت السباع وتشابكت، وعاظل الشاعر في القافية عظالاً: ضمَّن، وروي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال لقوم من العرب: أشعر شعرائكم من لم يعاظل الكلام ولم يتبع حُوشِيَّه، وقوله : لم يعاظل الكلام، أي: لم يحمل بعضه على بعض، ولم يتكلم بالرّجيع من القول، ولم يكرر اللفظ والمعنى[2].

ومصطلح المعاظلة يعد من المصطلحات الدالة على الغموض في المبنى أو في المعنى، أو فيهما معاً، ويبدو أن أول من استخدم هذا المصطلح هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما وصف زهيراً بمجانبته لها، فقال: " كان لا يعاظل بين الكلام " ولا يريد سيدنا عمر مداخلة بعض الكلام فيما يشبه من بعض، أو فيما كان من جنسه، وإنما أنكر أن يدخل بعضه فيما ليس من جنسه، وما هو غير لائق به، وبذلك يكون سوء النظم في المعاظلة.

ويمكن تحديد دلالة مصطلح المعاظلة من خلال الاستخدام أنه يدل على الغموض في المعنى من ناحيتين، وهما كالآتي:

1- المفردات:

ويكون ذلك حين يستخدم الكاتب أو الشاعر بعض المفردات غريبة الدلالة أو مهجورة الاستعمال، ومنه قول الشاعر:

وقد سد مندوحة القصعاء منهم وأمسك بالناقفاء

والقصعاء: جحر اليربوع الأول الذي يدخل منه، والناقفاء: فتحة للجحر من جهة أخرى فإذا شعر بالخطر من جهة القصعاء ضرب الناقفاء ففتحه.

ومن المعاظلة اللفظية ما يختص بتكرار الحروف، وليس ذلك مما يتعلق بتكرار الألفاظ ولا بتكرار المعاني، وإنما هو تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظة من ألفاظ الكلام المنثور أو المنظوم، فينتقل حينئذ النطق به، ومن ذلك قول بعضهم:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبرُ

فتكرار القافات والراءات مما يؤدي إلى ثقل النطق وصعوبته، بالإضافة إلى انصراف الذهن عن المعنى.

2- التراكيب:

يكون مصطلح المعاظلة أحياناً في التركيب النحوي المعقد الذي يؤدي إلى غموض المعنى نتيجة لنظم الكلام أو تركيباً نحوياً مخالفاً للنمط السائد في نظام الجملة من حيث التقديم والتأخير، مثل تقديم الصفة على الموصوف، أو الصلة على الموصول، ومن الأبيات التي أصبحت علما على ذلك بيت الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملّكاً أبو أمّه حيّ أبوه يقاربُه

والأصل في معنى البيت: (وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه)، وبذلك يكون فيه سوء ترتيب الجملة، وفي قوله: (أبو أمه أبوه)، سلك بذلك الطريق الأبعد، وكان يجزيه أن يقول: (خاله)، وفي قوله: (حي يقاربه)، سلك الاشتراك فإن كلمة (حي)، تحتمل معنى الحياة ومعنى القبيلة[3].

وعليه فمصطلح (المعاظلة) يتصل بأنواع متعددة من الغموض على المستويات الدلالية والنحوية.

الخاتمة:

من خلال دراستي المتواضعة لظاهرة الغموض وبعض المصطلحات الدالة عليها عند قدامى اللغويين والنحاة والبلاغيين توصلت إلى بعض النتائج الآتية:

- إن مصطلح الغموض عند العلماء المتقدمين من لغويين ونحاة وبلاغيين يُعبَّر عنه بألفاظ مرادفة للغموض ودالة عليه، فهو عند اللغويين يعبر عنه بألفاظ الترادف، والتضاد، والمشترك اللفظي، واستعمل النحاة للدلالة على الغموض مصطلح اللبس والإبهام، وعبّر البلاغيون للدلالة عن الغموض بألفاظ كثيرة منها على سبيل المثال: التعقيد، والمعاظلة والغريب... إلخ.
- ظاهرة الغموض سمة أساسية في اللغة المنطوقة والمكتوبة.
- يكون الغموض في اللغة المنطوقة والمكتوبة من غير قصد، وأحياناً يكون عن قصد من القائل أو الشاعر.

([1]) ينظر: العربية والغموض، دراسة لغوية في دراسة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص160-162.

([2]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ع.ظ.ل)، 199/10.

([3]) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص179-180، معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، 459/2-551، معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، 273/3-275، العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، ص140-144.

- الغموض في الكلام يحدث بالكلمات الغريبة المبهمة الدلالة، ويحدث _أيضا_ نتيجة لعدم مراعاة المقام والسياق فدوْرهما في إزالة الغموض وتحديد المعنى جَليٌّ واضح.
- يكون الغموض في بعض الجمل أصله التركيب النحويُّ للكلام، الذي ينطوي تحته أكثر من بنية عميقة تختلف دلالتها عن الأخرى.
- لا يكون معنى للجمل في التركيب النحوي بدون توافق دلالي.

والله وليّ التوفيق

المصادر والمراجع لبحث الغموض

- **القرآن الكريم برواية حفص.**

1. بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، ط2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ت.
2. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ، مكتبة الخانجي بمصر، ط4، 1395ه-1975م.
3. الخصائص، صنعه أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1428 ه – 2007 م.
4. شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل: تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، د.ت.
5. شرح المفصل، للشيخ العالم العلامة موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنى، القاهرة، د.ت.
6. الصاحبي، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
7. الطِّرَاز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني، تحقيق: د. عبد الحميد هارون، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط1، 1423 ه – 2002 م.
8. العربية والغموض – دراسة لغوية في دلالة المبني والمعنى، الدكتور حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1408 ه – 1987 م.
9. علم الدلالة – دراسة نظرية وتطبيقية، تأليف: دكتور فريد عوض حيدر، الناشر: مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 1426 ه– 2005 م.
10. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان ط4، 1972 م.
11. القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيرزآبادي، دار الجيل، بيروت.
12. الكامل في اللغة والأدب، للعلامة أبي العباس المبرد، راجعه مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت.
13. كتاب الأضداد، تأليف محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1407 ه – 1987 م.
14. كتاب التنبيه على حدوث التصحيف، تأليف: حمزة بن الحسين الأصفهاني، حققه: محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط2، 1412 ه – 1992 م.
15. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، من تصنيف أبي هلال العسكري، تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1401 ه – 1981 م.
16. الكتاب، كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت.
17. كتب الألغاز والأحاجي اللغوية وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة، أحمد محمد الشيخ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1493 و.ر – 1985 م.
18. لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، الإفريقي المصري، ط4، 2005، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
19. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1408 – 1987 م.
20. معجم البلاغة العربية، تأليف الدكتور بدوي طبانة، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ط1، 1397 ه – 1977 م.
21. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف: الدكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403 ه – 1983 م.
22. الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تصنيف الإمام الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
23. نظرية تشومسكي اللغوية، تأليف: جون ليونز، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ط1 ، 1985 .
24. الهادي إلى لغة العرب، قاموس عربي عربي، حسن سعيد الكرمي، ط1، 1412ه-1992 م، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.